الرثاء بين طرفي نقيض
أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني

م. ايناس عبد الرحمن زايد
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية
enas@Cois.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

لقد اثار فضولي هذين الشاعرين – أبو الطيب المتنبي وأبو الفراس الحمداني – منذ زمن الدراسة ، فاذا تحدثنا عن احدهما نظرنا بطرفنا للآخر ، فهما اهم شاعري القرن الرابع الهجري ، ونجمي مجلس سيف الدولة ،واشهر متخاصمي الساحة الفنية والأدبية.

والغريب في الامر ان العديد من الدراسات الأدبية والنقدية اهملت شان أبي فراس بقصد او دونه ، لتتولع بالآخر – المتنبي– شرحاً وتفصيلاً .

وقد أحببت ان اخوض تجربة دراستهما معاً، لما تميزا به من ثقافة وادب فضلاً عما تميزا به من بغض احدهما للآخر . وعندما تفحصت ديوانهما وجدته مليئاً بالأغراض الشعرية المتنوعة ، وكان لكل منهما قوله الخاص فيه ،فضلاً عن انهما ابدعا في غرض وقصرا في الاخر لسبب او دون ذلك. فتجاوزت كل الأغراض مستقرة على غرض واحد يجمعهما ، وذلك لقصور البحث وعدم استيعابه لبقية الاغراض .

وعلى الرغم من ان ابن رشيق يرى بانه (من اشد صعوبة على الشاعر ان يرثي طفلاً او امرأة) [1] ، الا انه كان لهما قولا لطيفاً، يدعو للبحث والدراسة فيه ، فاختلاف المنزلة الاجتماعية كان لها الاثر الاول في اختلاف صورة الرثاء بينهما فكانا به على طرفي نقيض فضلاً عن ذلك فقد تقابلا فيه من حيث اللوعة والحسرة ، فقد خطف الموت من كانت السند والامل والحب والشوق ورفيقة الدرب لمن ناله اليتم في عمر الطفولة المبكرة، فقطع الموت بذلك صلة الرحم تاركاً وراءه الفراغ والذكرى وعلى أساس ذلك قسمت البحث بعد الملخص على تمهيد ومبحثين جاء في التمهيد حديثا عن الشاعرين مالهما وما عليهما ، وجاء **(المبحث الأول)** حديثا عن الرثاء وتطوراته ، وجاء **(المبحث الثاني)** في رثاء الشاعرين من حيث الجودة

والضعف ، واخذت وقفة مطولة على قصيدتهما التي قالاها في المرأة الوحيدة بحياتهما ثم اختتمت بخاتمة أوضحت فيها اهم النتائج .

الكلمات المفتاحية:- الرثاء ، النقيض ، المتنبي ، ابو فراس

التمهيد :

في صحبة الشاعرين

ان دراسة الشخصيات التاريخية ولا سيما التي تميزت بجانب من جوانب الابداع الادبي دراسة تتطلب الحذر والموضوعية فالاقتراب من شخصيتين ذات ابعاد مميزة في شخصها عليه ان يكون محايداً بينهما دون الانحياز لاحدهما ، واختزال نظرة التعسف ضد شخصية على حساب اخرى مما يدفعه بذلك التعصب او الاعجاب فيفقده المصداقية في العمل. فيعود بالسوء للبحث أو يقلب ضده . لا سيما اذا كانت الشخصيتين لا يفصل بينهما العامل الزمني فأبي فراس اطال عمر اللغة مخلداً الألم والانين[٢]، والمتنبي (نطق عن خواطر الناس)[٣]، فالتصق شعره بنفوس العرب وشغفوا به شغفاً شديداً على مدار الزمن[٤].

إذن نحن امام لسانيين سويين في الفصاحة ، وقلمين صالحين للمقارنة ، ولكل منها الناقد بالسلب والايجاب والمناصر والمعادي فمجلس كمجلس سيف الدولة بما ضم من عبق الشعر ورواده والوان المحبة والصداقة فقد ضم الخصومات والمشاحنات واشهرها ما بين الشاعرين فقد انقسم البلاط الى جهتين فالجهة الأولى ضمت أبو فراس وابن خالويه والثانية يتزعمها المتنبي وابن جني[٥] . ولم تقف هذه النظرة عند حدود الناقدين ، بل تعدتها وصولاً الى الشاعرين فكل منهما كان يغض الاخر وينقص من قدره ، فابي فراس يرى المتنبي انه رجل من السوقه رفعه الشعر درجات، والمتنبي يرى بان أبا فراس اميراً رفعته الامارة من شعره درجات[٦].

ان هذين المتخاصمين وجهين لعملة واحدة في بعض نقاط الائتلاف التي تجمعهما فقد قدر لهما ان يكونا يتيمين باختلاف اليتم فابي فراس عاش مع امه عندما غاب ابوه في ظلمات القبر وهو طفل لا يتجاوز الثالثة من عمره ، فهامت به أمه في بلدان حلب لتثقيفه وتقويمه [٧]. اما المتنبي فعاش مع ابيه فاقداً امه مرتمياً باحضان جدته الصالحة ، حارصاً- والده- على تثقيفه بمختلف الثقافات متردداً معه ما بين البادية والحاضرة فـ (اكتسب من الأولى صلابتها ونزعتها البدوية ومن الثانية علومها وثقافتها الأدبية)[٨] لكن هذين اليتيمين اختلفا بأصول النشأة فابي فراس يعود لأصول عربية النسب تغلبية الأصل تقلب افرادها بين الملك والامارة. وتعد من اهم القبائل التي احتلت شأنا وقوة حتى قيل عنها انه لو ابطأ

الإسلام قليلاً لاكلت بنو تغلب الناس[٩] ، ووالده – أبو فراس– أبو العلاء الحمداني هو واحد من هؤلاء الملوك الذي احتل مكانه مرموقة الشأن من الاسرة الحمدانية، فقد كان واليا للموصل فضلا عن بطولاته الغازية ضد الروم، ولكن عمره القصير غدر به وقاده لمثواه الأخير ، تاركاً طفلاً يتيم الاب اصيل النسب من خير العرب.

اما المتنبي فهو نقيض النشأة فقد كان طفلاً يتيماً فقيراً عاش لاسرة فقيرة لاب سقاء يسقي اهل المحلة [١٠] فأصبحت مهنة ابيه له في المستقبل غرضا يهجوه الشعراء من خلالها. وقد تضاربت الآراء كثيراً في نسبه وقد اثارت جدلاً طويلاً مع المتنبي فبالرغم من (الاستعمال الواسع للنسب مع الممدوحين، لا يغوص على النسب عندما يتحدث عن نفسه)[١١] ، ولكن ان عدنا قليلا الى الوراء ان نسبه يعود الى آل كهلان القحطانيون ، وهي قبيلة عربية الأصل يمانية المنشأ ، نزحوا الى الكوفة واستقروا فيها[١٢]. ومع اختلاف اصول النشئة فهما الاثنان قورنا بعملاق من عمالقة المعلقات وعامود من أعمدة الشعر امرؤ القيس فقبل بدئ الشعر بملك وخُتم بملك يعني امرؤ القيس وابا فراس[١٣] ، وقيل بدي الشعر بكنده وختم بكنده يعني امرؤ القيس والمتنبي[١٤]، فقد كانت لهما حصة الأسد في ذلك .

ومن المفارقات الجميلة ان كلاهما خاضَ تجربة السجن ولكن باختلاف أسبابه واحداثه فأبي فراس الأمير الشاعر قد سجن سجناً رومياً أمتدد لأربع سنوات[١٥] قاسَى فيه مرارة الذل ونار الحرمان من رؤية امه العجوز، والمصيبة هنا مصيبتان لان الأسير هو امير طائر محلق في عالم الامارة فالسجن يعد مكانا ضيقا لامثاله.

اما المتنبي فقد خاضه مرتان الأولى عندما طمع في سلطة الولاية واعلن قيام الثورة فبلغ امره الى واليها فقيده وسجنه ثم اطلق سراحه بعد عدة أيام لاستعطافه إياه [١٦]، ولان الطمع لازمه – المتنبي– تعرض للسجن مرة أخرى ولكن هذه المرة مع وقف التنفيذ ، لمدة اربع سنوات وستة اشهر في مصر بحكم كافور لانه حاول متأملا فيه ولاية لكن كافور اهمل شأنه ،حارما إياه الخروج من مصر ،خوفاً من هجائه اللاذع [١٧].

لقد نما حبهما للسلطة ولكن كل لاسبابه فالمتنبي نظر اليها لتعويض ما فاته في الفقر اما أبو فراس نظر اليها لاسترداد عرش ابيه المغتصب وقد حصدا كلاهما فشلا ذريعاً ودفعا ثمناً باهظا ، فالإنسان عندما يصبوا للافضل ليس عيباً ، ولكن ان كانت طرق الوصول إليه خاطئة فقد تؤدي الى الهلاك ، لذلك فالمتنبي قيد وتعرض للسجن وأبو فراس قتُل غدراً .

واكثر ما يجمعهما هو صحبتهما لسيف الدولة الحمداني وطرق الوصول اليه ونيل الحظوة في مجلسه . وقد اصبح لكليهما شأناً رفيعاً لديه ، ومن دون مقدمات انقلب عليهما قلباً وقالباً فالمتنبي عندما ضُرب امامه وشق راسه لم يتحرك سيف الدولة ساكناً ، مما اضطره للخروج مسرعاً من حلب[١٨] ، اما أبو فراس فعندما أُسر على يد الروم مراسلا إياه لفدائه شاكياً له اهوال السجن ، لكنه لم يستمع لنداءه، مما ابقاه اعواماً طويلة عند الروم .

ان لكل بداية رحلة نهاية ، وكانت نهاية رحلتهما هي قتلاً على يد الغادرين والحاقدين دون ان يعيشا شباب الأربعين ، فمن روايات قتل المتنبي هي قتله على يد فاتك بن ابي جهل الاسدي لأنه نال من عرض ابن اخته بهجائه المقذع سنة (٣٥٤هـ) [١٩] وهو عائداً من شيراز الى العراق ، أما أبو فراس فقتل على يد ابن اخته ابا المعالي لتنافسهما على سلطة الامارة فحاصره وقتله سنة (٣٥٧هـ).[٢٠]

ان كل ما مر بنا من ملامح الاختلاف والائتلاف للشاعرين لاتعد مقياساً للجودة ، فمقياس الجودة هو الشعر وانفعال المتلقي فيه (لان الشعر من الشعور)[٢١] فضلاً عن عوامل الأنفعال وجزالة اللفظة ورصانة المعنى ، فالغزل الذي يعد من الفنون التي فاضت في اشعار الشعراء لا نجد لها مكانا عند المتنبي الا في بعض افتتاحات المديح والذي تميز بالصنعة والتي لا تلامس الإحساس ، اما أبو فراس فلا يمكن ان نغفل قصيدته الرائية الرائعة (اراك عصي الدمع) التي امتلأت شجوناً وبريقاً لامعاً من الإحساس والجودة في المشاعر. واذا انتقلنا الى الفخر فهو يعد ميدانا كانا فارسا فيه بكل معنى الكلمة وتقابلا فيه بكل ما يصب من عزة وشرف وكرامة وان اختلفت المكانة الاجتماعية فاحتل الفخر الصدارة عند ابي فراس مبدعاً في التفاخر بالأجداد والاباء والاعمام والنسب وغيرهم. اما المتنبي فكان فخره صادراً من حبه لذاته واعتداده بنفسه وتفوقه على الناس اجمع .

واذا خرجنا من الفخر دخولاً للرثاء فهو ما تقابلا فيه بكل مزاياه وسنفصل بالحديث عنه في المبحث الثاني. اما المديح فلم يكن أبو فراس مدّاحا ، وابتعد عن كل ما (يجري فيه معظم شعراء عصره من مديح غايته التكسب)[٢٢] فهو لم يحتج الى التكسب او التقرب للملوك لان ملك مالم يملكه غيره فالمديح ابعد ما يكون عنه . ولكن تخللت بعض قصائده المدحية الممتزوجة بالفخر مستنده على معاني الفروسية والشجاعة والبطولة دون التوغل باعماق المديح .كذلك الهجاء الذي لم يلتفت إليه أو ينطق به ، اما المتنبي فعلى نقيضه تماماً فقد كان مداحاً من الطراز الأول وذلك شأنه شأن الكثير من الشعراء الذين وقفوا وقالوا ليتكسبوا وبالرغم من

ذلك فأن هذه الاشعار وان كانت تكسبية فهي من جود صناعته وسكبه اللامع .أما في هجائه فقد نزل (صواعق محرقه على رؤوس اولئك الذين كادوا له)[٢٣].

ولكل منهما ما تميز به عن الاخر وتفرد به جملة وتفصيلا فالروميات لابي فراس هي التي رمى بها (هدف الاحسان وأصاب شاكله الصواب)[٢٤] التي تميزت بالجودة والبساطة والعاطفة المتأججه. كذلك الشعر الاخواني والذي يعد سجلاً للمشاعر الصادقة فقد خاطب اهله واقاربه .

اما المتنبي فقد تفرد عن ابي فراس بالوصف ولاسيما في وصف الخيل والحروب فهو اذا خاض معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت للسامع مقام افعالها حتى لنظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا.[٢٥]وقد تميز وتفرد ليس على ابي فراس فقط بل على سائر الشعراء وهو الشعر الفلسفي وتفوقه به . وكما كان لابي فراس الروميات فقد اوجدوا للمتنبي السيفيات وقد ضم جزءاً ضخماً من ديوانه حملت قصائدا في سيف الدولة الحمداني والتي (حكمت لها بالجودة أجيال متعاقبة على مدى الف عام)[٢٦].

ومن هذا كله يتبين لنا ان لكل منهما ميزة تميزه عن الاخر ، فان ارتفع احدهما بشأن ارتفع الاخر عنه بشأن يخصه . فالمتنبي بناء يميل الى بناء القصر الكبير على مساحة واسعة بجدران عالية ضخمة وتملك المتانة لتدهشك وتعترف بالفضل والعبقرية، اما أبو فراس فمثله كمثل المهندس الذي يتفنن في بناء القصر الصغير فيحلي بجدرانه بالنقوش البديعة ويملأ بالفراش الوثير ويستنبت حوله البساتين الخضراء والجداول الرقراقة فيسعد بذلك نظرك بهذا الجمال ويطرب سمعك بنغمات الطيور ويثلج صدرك بريح الاريج[٢٧]. وهكذا فهما يتقابلان شانا ام ابينا فلا يذكر احدهما إلا ويذكر الاخر.

المبحث الأول :- الرثاء مفهوماً وتطوراً

يكتنف الرثاء البعد الاجتماعي الذي يمثل بحد ذاته لغة الحزن تلك اللغة التي تعبر عن صدق المشاعر ، وحرارة العاطفة ، وعمق الحقيقة فـ (الشاعر انما يسمى شاعراً لانه يشعر بما لا يشعر به غيره)[٢٨]. فيجود الرثاء بما لا يجود به غيره فقيل للأعرابي (ما بال المراثي اجود اشعاركم ؟ قال لأنا نقول واكبادنا تحترق)[٢٩]. وان عواطف الشعر وانفعالاته تتفاوت بتفاوت دوافعها .

وقد شبه بعض الدارسين الرثاء بالغزل ، فهذه الاحاسيس التي يكنها الراثي للمرثي شبيهة باحاسيس الغازل بالمغتزل ، وان اختلفا بالوجع والسلوك ، وقد اطلق على هذا النوع المشترك بالمرثاة الغزلية[٣٠] .

والملفت للنظر ان اتجاهات الرثاء قد تعددت وتنوعت فكلما مضى عليه – الرثاء– زمن، ظهرت عوامل جديدة واتسعت فيه دائرة الفنون الأدبية متأثرا – الرثاء– باثارها متلوناً باتجاهاتها ،ومنها على سبيل المثال لا الحصر : الجمع بين التعزية والتهنئة[٣١] ، ورثاء المدن والشباب والنفس وحتى الخمرة [٣٢]. فقد وصل الامر بالرثاء الى استخدامه في الفكاهة والهزل فلا يكون الرثاء منبعثاً من الحزن والاسف، وانما لغرض السخرية والدعابة، منها قول أبو الحكم الاندلسي في ابن القيسراني الشاعر ، فقد وصف القبور وعذابها بطريقة ساخرة [٣٣].

ثم عهدي به وقد انزلوه العشير بين منكر ونكير
ثم قالا له الم تك في التنجيم بين افك وزور
ثم اسرفت بعد ذلك في قولك بين المنظوم والمنثور
فالحا عليه صفعا ولم ينفعه عذر ماله من نصير

ولم يكن الرثاء خاص بالرجال فقط ، بل شاركت به المرأة وبرعت فيه ، وهذا متأتٍ من طبيعة المرأة الإنسانية فهي (أشجى الناس قلوباً عند المصيبة وأشدهم جزعاً على هالك)[٣٤] والتي تكون اكثر ميلاً للحزن والبكاء .

وقسم النقاد الرثاء الى اقسام عدة منها :

١– الندب: هو بكاء الميت وتعداد حسناته[٣٥]. ولم يمنع الإسلام البكاء على الميت لان الرسول محمد (ﷺ) سمح بالبكاء ، ولكنه في المقابل نهى عن ضرب الخدود وشق الجيوب، لانها دعوة من دعاة الجاهلية [٣٦].

٢– التأبين: (أبن الرجل تأبيناً وأبله، هو مدحه بعد موته وبكاه)[٣٧]، وذكر فضائله ومناقبه من كرم وشجاعة وحلم واغاثة ملهوف .... وغيرها من الصفات والتأبين أيضاً هو (الثناء على الرجل في الموت والحياة)[٣٨] اذا هو للحي والميت.

٣– النعي: نعى ينعاه نعيا اذا ذاع موته ويشاع بين الناس[٣٩] ، وقد نهى عنه الرسول محمد (ﷺ) قائلا: (اياكم والنعي فان النعي من عمل الجاهلية)[٤٠] ، فالناعي عند ما يدور بين الناس لينعى خبر الموت ، وكأنه يدعو الناس الى النفار للحرب لأخذ الثأر[٤١].

ونستطيع ان نستنبط من هذه التعاريف اللغوية تعريفاً اصطلاحيا للرثاء وهو بكاء الميت والتوجع عليه وتعداد مناقبه شعرا كان ام نثراً فتتفاعل مشاعر مختلفة (من خسارة وحزن واعجاب واعتزاز وضغن ونقمة)[٤٢] ، لكونه فقد انساناً عزيزاً تمتع بهذه الخصال الحميدة ،فالرثاء يحمل بين طياته نبل المشاعر وصدقها للمدوح بماله من الحياة وماله في الممات مادحاً إياه مخلدا لذكراه ، بالفاظ تفيض حبا

وشوقا للوصول الى اسمى صور الرثاء في رجالاً كانوا ابناءاً او قادة او ملوكاً او قضاة وغير ذلك ، فاصبح الشعر وفق قاعدة تقول : (ان من استحق المدح فقد استحق الرثاء)[٤٣] .

ان هذه الألوان الرثائية لا تفصلها حدود ، ولا يقوم لون دون الاخر ، فهي تعمل مستندة لبعضها البعض ، الا في بعض المواقف التي قد تغلب احدها على الاخر ، ولكنها في العموم تتداخل في العمل الادبي كسلسلة واحدة منذ العصر الجاهلي وصولاً للحديث.

المبحث الثاني

رثاء النقيضين

يعد البلاط الحمداني بلاطاً مزدهرا بالشعر والشعراء ، الذي كان وجودهم مقترناً بوجود سيف الدولة الحمداني ، فقد تميز بتشجيعه إياهم وجوده عليهم ، ان كانوا داخل اماراته او خارجها . مما جعلهم يعيشون عيشة مترفة ، ويفدون عليه من كل فج ، يقفون على بابه لنيل الرضا والعطاء . وكان سيف الدولة الى جانب اهتماماته السياسية والعسكرية ، كانت لديه اهتمامات فنية وادبية شعرية ، حتى يصل به الامر ان ينقد الشعراء ويحاججهم في مجلسه . وقد ضم مجلس سيف الدولة العديد من الشعراء المميزين الذين احاطوا به ، وكان اشهرهم أبي فراس الحمداني وأبو الطيب المتنبي فهما فارسا البلاط الحمداني وكان مجلس سيف الدولة ميداناً جيداً ليتبارزا فيه وليظهرا كل ما يملكان من ملكات شعرية .

وقد خاضوا في العديد من الأغراض الشعرية ومنها غرض الرثاء الذي نالته الشهرة والازدهار لكثرة المراثي بمختلف أنواعها ، وذلك ليس حباً او ابداعاً لغرض الرثاء وانما ارضاءً لسيف الدولة ، ولاسيما انه قد المت به العديد من المصائب والمحن في أهله وأصحابه ، فدفع الشعراء للقول فيه ومنهم المتنبي . لذا فهذه الاشعار لم تصدر عن قلوب موجوعة وانما صدرت عن انفس وعقول راغبة في العطاء.

واولى ما نقف عليه في رثاءات المتنبي لسيف الدولة في امه ، فافتتحها بحكمة فلسفية يقول :[٤٤]

تعد المشرقية والعوالي وتقتلنا المتون بلا قتال
وترتبط السوابق مقربات وما ينجين خيب الليالي
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
رماني الدهر بالارزاء حتى فؤداي في غشاء من نبال

فصرت اذا اصابني سهـام تكسرت النصال على النصال
وهـان فمان ابالـي بالرزايـا لانـي مـا انتفعت بـأن ابالـــي

فهـو يتحـدث عـن المـوت الـذي يخطـف الاحيـاء مـن الاحبـاب بكـل سـهولة وبـرودة اعصـاب وبـلا عنـاء مكلـف ومـن دون أي سـبب يـذكر، حاملـه بـين طياتهـا عمـق الحـزن والأسـى ومـا يحدثـه فـراق المحبـين فـي الـنفس. ويـذكر الـدكتور شـاكر انـه حـديث الـنفس ومصـابها ، فقـد كـان المتنبـي يصـور حزنـه وعاطفتـه ، فيحكـى لنـا ان زوجـة المتنبـي كانـت حـاملا ، فجاءهـا المخـاض وتعسـرت ولادتهـا ، فوضـعت مولودهـا وماتـت ، فـي نفـس الوقـت الـذي بـه ماتـت ام سـيف الدولـة [٤٥] فكـتم حزنـه ليعبـر عـن حزن غيره ، فجمع ما بين الحزنين بغلاف واحد . ثم يكمل قائلا:

وهـذا اول الناعيـــن طـــرا لاول ميتة في ذا الجـلال
كـــأن المـوت لم يفجع بنفس ولم يخطر لمخلوق ببـال
صـــلاة الله خالقـنا حـــنوط على الوجه المكفن بالجمال
على المدفون قبل الترب صونا وقبل اللحد في كرم الخلال
فان له ببطن الارض شخصا جديدا ذكرنـــاه وهـــو بالِ

لقـد اثـار المتنبـي سـخط الناقـدين عنـدما وصـف جمالهـا ، فـي البيـت الثالـث ، فقـالوا مـــال لهـــذه العجـــوز يصـــف جمالهـــا [٤٦] ،ثـــم افســـد موســـيقاه باســـتخدامه (ذكرنـاه)،فمن غيـر اللائـق ان يـذكر البلـى والانحـلال لجسـم الاميـرة الام فـي تعزيـة ابنهـا [٤٧] . ويخـرج المتنبـي مـن عثرتـه منشـداً ابياتـاً مليئـة بلوعـة الفـراق ووحشـة المـوت وظلمة القبر، يقول:

نزلت على الكراهية في مكان بعدت عن النعامي والشمال
تحجب عنك رائحة الخزامي وتمنع عنك أنداء الطـــلال
بدار كل ساكنـــها غريـب بعيد الدار منبـت الحـبال
وليست كالاناث ولا اللواتي تعدلـها القيـــود من الحجال
ولا من في جنازتها تجـار يكون وداعهـا نقض النعـال
مشى الامرار حوليها حفاة كـأن المـرو من زفِّ الرئـال [٤٨]
وابرزت الخـدور مخبـآت يضعـن النقس امكنـة العوالـي
اتتهن المصـيبة غافـلات فدمع الحـزن في دمـع الـتدلال

لقـد حلـق المتنبـي فـي وصـفه للمرثيـة ، وبـالغ فـي مقامهـا بنفيـه ان تكـون كالنسـاء الاخريـات لانهـا مـن ذوات الاصـل والنسـب والحسـب والسـتر ، لـذا فامثالهـا لا يكـون

القبر ستر لها . وبما ان المتنبي فيلسوف وحكيم عصره، فلا يخفى هذين الخاصيتين عن شعره فيقول:

يدفن بعضنا بعضا ونمشي اواصرنا على هام الأوالي
وكم عين مقبلة النواحي كحيل بالجنادل والرمال
ومغض كان لا يُغضي لخطب وبال كان يفكر في الهزال

لقد مازج بين افكاره الفلسفية في الكثير من اشعاره الرثائية حتى اصبحت مدخلا لابي العلاء المعري في الكثير من تشاؤماته التي ذهب مذهبها وطرق معناها في شعره[٤٩]. وفي خضم حديثه الرثائي لا ينسى المتنبي ممدوحه الجليل وصاحب نعمته الامير سيف الدولة بابيات مديحه خاتما بها مرثيته قائلا:

رايتك في الذين ارى ملوكاً كأنك مستقيم في محال
فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

ولا تمر الايام حتى يفجع سيف الدولة بوفاة ابنه ابو الهجاء عبد الله سنة ٣٣٨ للهجرة فيتسابق الشعراء في رثائه وتعزيته ، ومنهم المتنبي يقول [٥٠]:

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذي يضني كذلك الذي يبلي
فان تك في قبر فانك في الحشا وان تك طفلا فالاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سِنّه ولكن على قدر المخيلة والاصل

لقد افتتح المتنبي قصيدته بالحديث عن الطفل المقبور، وهذه افتتاحية غير موفقة تقشعر لها الابدان (فليس أصعب على نفس والد أن يتصور فلذت كبدهُ وطفلة الصغير الذي كان يملأ عليه حياته سعادة ، وانساً وبهجة وقد حلّ البلى والتحلل بجسمه الرقيق)[٥١] وينتقل المتنبي من الرثاء الى العزاء مخاطبا مادحاً بها الامير والده يقول :

عزاءك سيف الدولة المُقتدى به فانك نصل والشدائد للنصل
مقيم من الهيجاء في كل منزل كأنك من كل الصوارم في اهل
ولم ار أعصى منك للحزن عبرة واثبت عقلا والقلوب بلا عقل

تستعصي الكلمات الرثائية الطفولية على المتنبي هارباً منها الى والده ،مبالغا في خطابه الذي يصف فيه حزنه الثابت ودمعته المستعصية في المصائب ، فلا تهزه تلك الكلمات لأنه سديد العقل قوي الإرادة فهو يبالغ في شدته وعزيمته وكأنه انسان بلا مشاعر ومن مات له غريب عنه فضلاً عن الصنعة التي ملأت الالفاظ ومعانيها. وبعد ان تجاوز حده في المديح، وظل طريق العودة للرثاء ،خرج منها هاربا الى حكمته الفلسفية عن الموت وقسوة الزمن، يقول:

وما الموت الا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
يَردّ ابو الشبل الخميس عن ابنه ويسلمـــه عنـد الـولادة للنمـل
بنفسـي وليد عاد من بعد حملـه الــى بطـن ام لا تطـرق بالحمـل

لا نغفـل جماليـة هـذه الابيـات وتناسـقها ، ولكنهـا مـن وجهـة نظـري رؤيـا قاسـية يرويهـا المتنبـي عـن طفـل اكلـه النمـل ، لتغـدوا نـارا تحـرق قلـب مـن يسـتمع لهـا فكيـف لوالـد فقـد فلذة كبـده، فيفـتح بـذلك عليـه احزانـه مـن جديـد . فكـل مـا يملكـه هـذا الاب مـن قـوة وسـلطة فـي دفـع بطـش وغـزو جـيش الاعـداء الا انـه عـاجز علـى منـع بطـش النمـل، كنايـة عـن المـوت الـذي لا يـدفع شـره احـد، لانـه لـص سـارق خفـي . يـدخل لحياتنـا خاطفـا اجمـل مـا يملـك الفـرد ولا سـيما الاب لابنائـه ، فيتمنـى بـذلك الاب لـو يعـود ذلـك الطفـل لـبطن امـه فتتعسـر بولادتـه خيـرا مـن خروجـه للـدنيا ليخطفـه مـن بعـد ذلـك المـوت ومـا ان يصـحو سـيف الدولـة مـن وفـاة ابنـه حتـى يفجـع مـرة اخـرى بوفـاة اختـه الصـغرى سـنة ٣٤٤ للهجـرة . وبالتاكيـد فـالمتنبي فـي مقدمـة مـن رثاهـا ، يقول[٥٢] :

ان يكن صبر ذي الرذيئة فضلاً تكن الافضل الاعز الاجـل
انت يا فوق ان تُعزى عن الاحـ ـباب فوق الذي يعزيك عقلا

يفتتحهـا بالثنـاء علـى صـبر الاميـر والتـي تعـد فضـيلة مـن فضـائله الشخصـية وعقلـه الرصـين فـوق العقـول الصـابرة الرصـينة ويسـتطرد فـي حديثـه عـن الاميـرة واخيهـا الاميـر وعـن المـوت والحـزن والصـبر ومـا الـى ذلـك حتـى يفاجئنـا بانـه يقحـم اختـه الكبرى ، يقول:

قاسمتك المنون شخصين جورا جعل القسم نفسه فيه عـدلا
فاذا قست ما اخـذن بما غـــا درن سرى عن الفؤاد وسلى
وتيقنـــت ان حظـك اوفـــى وتبينت ان جـــدك اعلـــى
واذا لـم تجـد من الناس كفـأ ذات خدر ارادت الموت بعلا

وكـأن الرثـاء قـد ضـاق بـه ليقاسـمه بـين شخصـين ويسـتغرب الـدكتور شـاكر مـن ان يكـون هـذا عـزاء لان ابـي الطيـب قـدم الكبـرى فـي المنزلـة وكـان الأفضـل ان تمـوت الكبـرى حتـى يرثيهـا. ويمضـي برثـاء مـن اختـارت المـوت بعـلاً بأبيـات نشـهد لهـا بالجودة والجمالية ، فضلاً عن تخللها بالحس المشؤوم الذي تعودنا عليه.

ولا تنفـك المصـائب تتسـاقط علـى سـيف الدولـة فقـد توفيـت اختـه الكبـرى خولـة المعروفـة بسـت النـاس سـنة ٣٥٢ للهجـرة وكـان المتنبـي انـذاك خـارج حلـب مفارقـاً اياهـا ما يقارب الست سنوات الى الكوفة ، فلم يستطع مسك لسانه في رثائها قائلا :[٥٣]

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب كفا بهما عن اشـرف النســب
اجــل قــدرك ان تسمي مؤبنــة ومـن يصفك فقـد سماك للعـرب
لا يملك الطرب المخزون منطقة ودمعـه وهما فـي قبضة الطـرب
غدرت يا موت كم افنيت من عدد بمن اصبت وكم اسكت من لجـب[٥٤]
وكم صحبت اخاها في منازلـــة وكـم سالت فلـم يبخل ولـم تخـب

وكـأن المتنبـي فقد عقلـه مستغرباً مـن المـوت الـذي غـدر بـه ، وكيـف خطفهـا بـدلا مـن اعدائـه واعـداء سـيف الدولـة ، فـأفنى عمرهـا وعمـر محبيهـا ، واسـكت اصـواتهم مـن بعـدها ، لانهـم مـاتوا بموتهـا . ثـم يصـف فزعتـه عنـد سـماعه للخبـر ، امـلا ان يكـون خبرا كاذبا ، يقول:

طــوى الجزيــرة حتى جاءنـــي فزعت فيه بامـــالي الى الكـــذب
حتى اذا لم يدع لي صدفة املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بـــي
تعثرت به في الافــواه السنهــا والبُرد في الطرق والاقلام في الكتب

شــتان مــا بــين قصــائدة الســابقة المليئــة بالصــنعة والتكلــف وهــذه القصــيدة التــي تميـزت بروعـة الفكـرة والتجديـد فـي ، تصـويره لكيفيـة سـماع خبـر موتهـا وكيـف يشـرق ويغـص الانسـان بدمعـه ثـم يغـص الـدمع بصـاحبه . ويـرى محمـود شـاكر ان هـذه الابيـات هـي اولـى مـا قالهـا عنـد تلقيـه للخبـر، فقـد عبـر عـن قلبـه المفزع،وعواطفـه المضـطربة، ولوعتـه المحترفـة ، صـارفا بكـل مـا يضـمر لخولـة مـن حـب او اعجـاب وتقـدير . جـاعلا مـن الخبـر يطـوي الجزيـرة وان هـذا الخبـر قطـع كـل تلـك المسـافات الا ليبلغـه هـو حتـى وان تعثـرت الالسـن وتكسـرت الاقـلام لهـذا الخبـر ،فالحـب دائمـا مـا يخص ولا يرى فيه الشركة [٥٥]. ويستطرد قائلا:

كأن فعـــله لم تملأ مواكبها ديار بكـر ولم تخـلع ولم تهـب
ولم ترد حيـاة بعـــد تولية ولم يغث داعيا بالويـل والحرب
ارى العراق طويل الليل مذ نعيت فكيف ليل فتى الفتيان في حلب
يظن ان فؤادي غير ملتهـب وان دمع جفوني غير منسكـب
يعلمن حين تحيا حسن مبسمها وليـس يعلم الا الله بالشنـب [٥٦]

يصـرح هنـا إلـى حزنـه الـذي يشـاركه مـع سـيف الدولـة وهـذا مـا لـم نعهـده فـي قصـائده الاخـرى مشـيراً إليهـا بــ (فعلـه) متحـدثاً عـن خلقهـا وهيئتهـا وأغاثتهـا للملهـوف ، فضـلاً عن تغزلِهِ ببمسمها وحسن جمالها ، فقد ادخل الغزل برثائه الحزين .

ويستطرد المتنبي في رثاء الاميرة بابيات فاضت بمعان تقليدية محشورة بالفاظ مكررة الا انه يشهد لها بالجمالية والقبول حتى يصل الى عزاء سيف الدولة فيعزيه عزاء مضروباً باثنين (الاخت الكبرى والصغرى) .

يقول :

قد كان قاسمك الشخصين دهرهما وعاش دورهما المفدى بالذهب
وعاد في طلب المتروك تاركه انا لقفل والايام في الطلب
ما كان اقصر وقتا كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب

ثم ينتقل من الرثاء الى مديح سيف الدولة يقول :

جزاك ربك بالأحزان مغفرة فحزن كل أخي حزن أخو الغضب
حللتم من ملوك الأرض كلهم محل سمر القنى من سائر القصب

وان هذا الاسلوب الذي اعتمده وهو في بلاط سيف الدولة (فليس له ان يعمد الى ذلك وهو بعيد عنه الا انه ذوق سقيم لازم المتنبي في مرثياته فجعله يمزج بين الدره والخرزة فخرجت مرثياته في بعض الاحيان كالثوب المرقع) [٥٧]

اما فيما يخص المتنبي فقد كان له في رثاء احبته اثنين الاولى في جدته والتي سنتحدث عنها في وقت لاحق والثانية في صديق الغربة ابو شجاع فاتك ، الذي تعرف عليه في مصر اثناء شدته مع كافور . وستبرز هنا اهم ماتخللته من سمات ومميزات نفسية . ففي قصيدته العينية التي يقول فيها : [٥٨]

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيع
يتنازعان دموع عين مسهد هذا يجيء بها وهذا يرجع
تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
اين الذي الحرمان من بنيانه ما قومه وما يومه ما المصرع؟

افتتح قصيدته متحدثا عن حالته النفسية ما بين الصبر والالم والاستسلام له . وما آلت به نفسه بعد فراق صاحبه ، فضلاً عن معاني الحكمة التي تعودنا عليها، مازجاً بذلك (عنده الالم بالحكمة والتبصر بعواقب الحياة) [٥٩]

ثم يدخل الى صميم الرثاء قائلا :

لم يُرضِ قلب ابي شجاع مَبلغ قبل الممات ولم يسعه موضع
كنا نظن دياره مملوءة ذهبا فمات وكان دار بلقع [٦٠]
واذا المكارم والصوارم والقنا وبنات اعوج كل شيء يجمع
المجد اخسر والمكارم صفقة من ان يعيش لها الهمام الاروع

قبحا لوجهك يا زمان فانـــه وجه له من كـل قبح برقـــع

بابيـات جميلـة حملـت مجموعـة مـن المزايـا التـي تميـزه، فيعلـو مـن شـأنه ويحلـق بـه عاليـا ،فهـو الاسـد، البطـل المغـوار حامـل المهمـة ، مُغيـث الملهـوف وكانـت هـذه الخصـال سـبباً لـذم الزمـان وتقبيحـه لانـه خطـف مـن لا يسـتحق المـوت ، تاركـاً مـن هـم دونه وبه يدخل مباشرة ومن دون مقدمات الى هجاء كافور ، يقول:-

ايموت مثل ابي شجاع فاتك ويعيش حاسده الخصي الاوكـع [٦١]

ايد مقطعه حوالي رأســه وقفا يصيح بها : الامن يصفـــع

ابقيت اكذب كاذب ابقيته واخذت اصدق من يقول ويسمع

وتركت انتن ربحة مذمومة وسلبت اطيـب ريحة تتضـوع

ان هـذا الرثـاء المـبطن بالهجـاء مـا هـو الاعـزاء للمتنبـي لينـتقم مـن كـافور الـذي عاملـه معاملـة سـيئة ،فيصـيب جـام غضـبه عليـه بهجـاء مقـذع ، ولا يعنـي هـذا انـه لـم يحـب فاتـك او يحـزن لموتـه ، وانمـا كـان الرثـاء هنـا جسـراً للتعبيـر عـن رأيـه بكـافور والانتقـام منـه، وذلـك بالمقارنـة مـا بـين الشخصـيتين ليوضـح للنـاس مـدى البـون الشاسـع مـا بـين صـورة السـيف والمجـد والعلـو وصـورة الدنائـة والقباحـة والنتانـة ثـم يعـود لرثـاء فقيـده العزيـز محاصـرا اياه مـن كـل الجوانـب – كـافور – راثيـا بصـاحب المجـد والكـرم ومن كان سهل المعشر لين الصاحب، ويختمها بالدعاء، يقول :

لا قلبت ايدي الفوارس بعده رمحاً ولا حملت جوادا اربع

ان دوافـع الشـعر كانـت حاضـرة عنـد المتنبـي فمـا كـان رثائـه لفاتـك الا دافعـاً لهجـاء كـافور دون انكارنـا لحزنـه الالـيم لفاتـك الا ان ابياتـه خلـت مـن (تلـك العاطفـة المتأججـة التـي تسـتمطر الـدموع)[٦٢]، لان الرثـاء لـم يتمحـور حـول الفقـد فقـط بـل شـاركه كـافور، فضـلا عـن الافتتاحيـة التـي بـدأها بالحـديث عـن نفسـه هـو اولا وهـذا مـا يعرف بالاستعلاء الذي (يكاد يضرب بسهم وافر في باب جنون العظمة)[٦٣]

وبهـذه القصـيدة جمـع مـا بـين الرثـاء والهجـاء وقـد سـبقتها قصـائد جمعـت مـا بـين الرثـاء والمـديح وبهـذا فقـد انهـى المتنبـي عصـر الوحـدة الموضـوعية التـي دعـا اليهـا شـعراء والنقـاد ، ولكنـه اثبـت بـأن الابـداع الشـعري سـواء اكانـت القصـيدة بموضـوع واحـد او متعـدد ولـه مـن الجماليـة والصـنعة مـا يجمـع شـتاته كـالالوان المتباينـة فـي اللوحة ، فتصبح اجزاء من وحدة تلك اللوحة وعالمها متماسك.[٦٤]

امـا قصـيدته الثانيـة [٦٥] فكانـت خاليـة مـن لوعـة الرثـاء التـي نبحـث عنهـا ، فقـد تحـدث فيهـا عـن رحلتـه ومسـيرته مـن مصـر الـى الكوفـه ، واهـوال الصـحراء ومصـاعبها

وغلمانه الذين شاركه هذه الرحلة ، ثم يدخل لرثاء فقيده بأبيات معدودة لا تشفي الغليل ثم يعود في نهايتها للحديث عن نفسه متناسياً المرثي.

لقد اكثر المتنبي في اقواله الرثائية ، بقصائد مطولة متعددة الاغراض ما بين رثاء ومدح وشكوى وحكمة وحتى الغزل في بعض الاحيان . اما ابو فراس فكان على النقيض تماماً فلم تكن له اقوالاً رثائية كثيرة ، بل تعد على الاصابع، بالرغم من عشيرته المليئة برجال مهمين، وهذا امر يدعو للغرابة، والاكثر غرابة من ذلك ، انه لم يرث سيف الدولة، واكتفى بالقلة القليلة من المقربين اليه والبعض من بني قومه ، ومنهم ابو المكارم ابن سيف الدولة الذي وافاه الاجل سنة(٣٥٤هـ) ، وكان شابا يافعاً، فخطفه الموت مبكراً يقو[٦٦]:-

يا عمر الله سيف الدين مغتبطا فكل حادثة يرمى بها جلل
من كان من كل مفقود لنا بدلا فليس منه على حالاته بدل
يبكي الرجال وسيف الدين مبتسم حتى عن ابنك تعطي الصبر يا جبل

لقد كان ابو فراس اسيراً انذاك فارسل الى سيف الدولة معزياً مستهلها بالدعاء له بطول العمر، واصفاً اياه بالثبات والجلدة فكلمه (مبتسم) هي كناية عن صلابة سيف الدولة وجلادته في استقباله لخبر موت ابنه ، مبتسما للاقدار عارفا بها لا ناكراً لها ، ويكمل قائلا :

ما بعد فقدك في اهل ولا ولد ولا حياة ولا دنيا لنا امل
يامن اتته المنايا غير حافلة اين العبيد واين الخيل والحول ؟
اين اللبوث التي حوليك رابضة ؟ اين الضائع ؟اين الاهل؟ما فعلوا؟
اين السيوف التي يحميك اقطعها؟ اين السوابق ؟اين البيض والاسل؟
ياويح خالك! بل ياويح كل فتى! اكل هذا تخطّى نحوك الاجل

لقد اظهر ابو فراس جل لوعته المتشحة بالسواد، وذلك لان الفقيد هو ابن اخته فهو خاله بالمقام الاولي فهو يتوجع ويتلوا من الالم مستفهما مستغربا كيق تخطاه الموت وهو محاطا محميا بها له من الجنود والحماه والسيوف الرماح والغلمان ، فكلها لم تمنع الموت عنه ولم تحميه من غدرها . ولقد كان واضح الاسى معلوم الفجيعة باداته الاستفهامية البلاغية فلها في النفوس وقع مدوي ، فضلا عن تكراره للفظة (اين) هذه اللفظة التي نقل بها الينا احساسه الموجع، والمه الصارخ . وهنا الوجع كان لامرين الاول لان الفقيد هو ابن اخته والثاني لانه كان حبيس السجن مثقل بالسلاسل لا يملك من تعزيته لاخته ومواساتها الا ابيات شعرية يرسلها معبرا عن حزنه .

وعندما توفيت اخت سيف الدولة (خولة)، كان ايضا لا يزال في سجنه الرومي، فارسل معزيا ،يقول[٦٧]:

اوصيك بالحزن لا اوصيك بالجلد جل المصاب عن التعنيف والفند
اني اجل كان تكفي بتعزية عن خير معتقد يا خير مفتقد
هي الرزية إن ضننت لما ملكت منها الجفون فما تسخو عن احد
لا شركنك في اللاواء ان طرقت كما شركتك في النعماء والرغد
وامنع النوم عيني ان يُلم بها علما بأنك موقوف على السهر
هذا الاسير المبقى لا فداء له يفديك بالنفس والاهلين والولد

لقد اجتمع الشاعران النقيضان في رثاء خولة وتعزية اخيها ، وهما في اخر المكان فالمتنبي كان في الكوفة وابو فراس كان في بلاد الروم اسيراً، وقد عبر كل منهما عن خبر سماعه لوفاتها من حيث الأحساس بالفجيعة ، والصدمة لتلقي خبر موت من كانت خير النساء ومثلهم الاعلى ، فهما لا يملكان إلا الصبر والدعاء على حالهما ، فالمتنبي يبكي على أيام الرغد عند المتنبي ، وأبو فراس يبكي لمن تأخر عنهُ بالفداء .

هذا ماكان حول سيف الدولة . اما من رثاهم ابا فراس من قومه المقربين اليه فكانوا قله قليلة أمثال ابن عمه ابو وائل تغلب بن داود [٦٨] والتي جمع بها مع لغة الحزن والاسى مع لغة الفروسية والفخر . ورفيقه ابى العشائر الذي توفي وهو أسيراً في بلاد الروم فقال فيه[٦٩]

أأبا العشائر لا محلك دارس بين الضلوع ولا مكانك نازح
اني لا اعلم بعد موتك انه ما مر للاسراء يوم صالح

لقد كسر ابو فراس القواعد الرثائية المطولة ببيتين حملتا جل المشاعر الحزينة ،مؤبناً الفقيد مصورا حال الدنيا من بعده باجمل صورة، وهو لم يبذل جهدا كبيرا في رسم ملامح الحزن بالفاظ . مستعذبه سهلة الحفظ والسمع . ومن وجهة نظري ان النوعية الشعرية هي افضل واجمل من الكمية فهذين البيتين يمثلان من خيرة اشعار الرثاء يقصائدها المطولة . فخير الكلام ما قلّ ودل .

وهذه الاقوال الرثائية تمثل موقف ابي فراس من اقاربه اما فيما يخص اهل بيته فكان له في رثاء ابنه الذي فجع به قولا :[٧٠]

اعزز عليَّ بان يبيت موسدا وابيت اندبه مع الاخوان
ولقد وددتُ ان اكون مكانه تحت التراب وان يكون مكاني

بما ان الابن هو اقرب الناس الى الشاعر ، فكان وقع الحدث كبيراً ، فبكاه بالدموع الغزار ، ناظما ابياتا تبث لوعة الفراق ، فلشدة مصيبته هو عاجز على ندبه متمنياً ان يفديه بنفسه ،فيكون مكانه تحت التراب ، مستعينا بضمير المتكلم بقوله (ابيت – وددت) ليعكس لنا تلك الظلال الحزينة التي غلبت على نفسه .

وفجع ايضا باخته فرثاها قائلا :[٧١]

اتزعم انك خدن الوفـــاء وقد حجب الترب من قد حجب
فان كنت تصدق فيما تقول فمت قبل موتك مع من تحب
يعزون عنك واين العزاء !؟ ولكنها سُنـــــة تستحـــــب
ولورُدَّ بالرزء ما تستحــق لما كان لي في حيـــاةٍ أرب

وها هو مرة اخرى يقدم نفسه فداء لمن فقدهم من احبته، فيتمنى ان يرد اخته للحياة ليأخذ مكانها . وقد تمثلت هذه القصيدة جل الحزن العميق الواضح ، فلا حاجة لحياته بعد موت اخته ،معزياً نفسه بنفسه مودعا إياها بلا رجعة ولا امل في لقائها، ببائية ساكنة مفرغة من الحركة ممتلئة باليأس والاحباط .

وبما ان حياتنا كحياة القوافي تبدأ بحركة وتنتهي بسكون [٧٢] ، فها هو يرثي نفسه ببائية ساكنة اخرى رائعة يقول فيها :[٧٣]

أبُنيتي لا تجزعـي كل الانام الى ذهـــابْ
ابُنيتي صبرا جميـ ـيلاً للجليل من المصـابْ
نوحي عليَّ بحسرة من خلف سترك والحجابْ
قولـــي اذا ناديتنـــي فعييتُ عن ردِّ الجـــوابْ
زين الشباب ابو فرا سٍ لم يُمتـــع بالشبـــابْ

يعد ابي فراس من الشعراء الذين رثوا انفسهم قبل موتهم فبكى على حياته المليئة بالضجيج والحركة في الامارة والمجالس والحرب والصيد وغيرها، فعندما شعر بدنو اجله ، لم يجد من يستحق عزائهُ الا ابنته ، فبكى وابكاها بهدوء وسكينة، فقد (سكن راغما قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة ، وسكن راغبا قبل ان يطلق رؤيته الاخيرة)[٧٤] فاصبح حزينا قلقاً كئيبا ، فقال منادياً اياها بهدوء وسكينة ان لا تجزع، خوفا عليها من بعد موته لفراقه اياها ، داعيا لها بالصبر والثبات وملازمة بيتها ثم يعلو صوته منهاراً يا بنيتي اذا هززتني ولم اجب عليك ، فاصرخي عالياً بأن زين الشباب لم يتمتع بالشباب. انها ابيات تفيض حزنا ودموعاً وحسرة على شباب ضائع، مبدعا فيه بالفاظ (احسنها سمعاً والطفها من القلب موقعاً)[٧٥]

لا يمكننا ان ننكر الابداع الشعري والصورة اللفظية الرائعة لدى الشاعرين ،فضلا عن ما اضفياه – أبو فراس والمتنبي – على تلك الاقوال الرثائية من معاني الحزن والالم. الا ان المتنبي قد ضاق عليه الرثاء فضاع في بحر المديح وجاءت بعض معانيه سطحية خالية من مرارة الحزن ، لانه لم يُكوا بها وانما شاطر تلك الاحزان مع سيف الدولة ومن يقربوه .اما ابو فراس فكان اكثر ثباتاً وتحسرا والما لمن كان لهم فيه صلة رحم ، فجاءت معانيه صادقة نابعة من القلب لانه لم يرِث الا من احس انه يستحق العزاء (فالكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الاذان).[٧٦] فالفارق ما بين النقيضين ان المتنبي رثا من احبهم سيف الدولة اما ابو فراس فرثا من احبهم هو. ولكنهما تجرعا كأس الفراق ، وذاقا علقم الوداع ، وشعرا بلوعة الفقد، لام كانت الحضن الدافئ لكليهما فالمتنبي رثا جدته التي كانت بمقام امه ، وابا فراس رثى امه التي ماتت حزنا عليه وهو من الاسر ،ففقد عطفها وحنانها ،فرثاها داعياً لها بالسقيا، متذكراً دعواها له ، يقول[٧٧]

ايا ام الاسير سقاك غيث	بُكره منك مالقي الاسير
ايا ام الاسير سقاك غيث	تحيّر لا يقيم ولا بسير!
ايا ام الاسير سقاك غيث	الى من بالفدا يأتي البشير؟
ايتا ام الاسير لمن تربى	وقد مُتَّ الذوائب والشعور؟
اذا ابنك سار في برٍ وبحرٍ	فمن يدعو له او يستجير؟
حرام ان يبيت قرير عين !	ولؤم ان يُلم به السرور
وقد وقت الرزايا والمنايا	ولا ولد لديك ولا عشير
وغاب حبيب قلبك عن مكان	ملائكة السماء به حضور

لقد فاضت القصيدة باللوعة والاسى والحزن (فكلما رأيت الفجيعة ذاتية رأيت تمزق القلوب ظاهراً)[٧٨]. واكثر ما يحزنه هو اسره ، فقد غاب عن امه التي كادت عيناها تبيض من شدة البكاء على امل رؤيته حرا طليقاً، وما بين الامل واليأس ودعت دنياها متألمة بلا ولد ولا زوج . ومما ضاعف حزنه هو انه اسيرا حبيساً لا حول له ولا قوة له فناجاها مكرراً (بيا ام الاسير) حارماً على نفسه الراحة بعد فقدانه لروح امه العزيزة ، داعيا لها بالسقيا ، واجمل مافي سقياه لامه هو انها لا منهمرة فتغرق القبر ولا ساكنة ليجف من بعدها القبر وانما متقطعة النزول لتروي ثرى قبرها. فهو يبكي كالاطفال بكاء طويلا مريراً مبكياً معه كل الفضائل والقيم الصالحة التي كانت تتميز بها ، يقول :

ليبكيكِ كل يوم صمت فيه مصابرة وقد حمي الهجر
ليبكيك كل ليل قمت فيـــه الى ان يبتدي الفجر المنير
ليبكيك كل مضطهد محوق اجريتـه وقد قـلّ المجيـــر
ليبكيك كل مسكيـــن فقيـــر اغثيته ومافـي العظـم زيـر

مـزج أبـو فـراس بكـاؤه بالشـكوى. فبكـى شـاكيا الامـال الضـائعة وبكـا امـاً عانـت مـرارة الوحـدة، وبكـى فيهـا الصـدر الحنـون الـذي فقـده. فيناديهـا بحسـره (أيـا امـاه) وكأنـه طفل لم يفطم بعد، يقول:-

أيا امّاه كم هو طويـل مضى بك لم يكن منه نصـير
أيا امّاه كم سر مصون تقلبك مـات ليس لـه ظهـور
أيا امّاه كم بشرى بقربي اتتـكِ ودونهـا الأجتل القصيـر
الى لمن اشتكي ولمن اناجي؟ اذا ضـاقت بمـا فيهتا الصدور
بـأيّ دعـاء داعيـة اوقـى بـاي ضياء وجـه استنـير؟

فهذه الهاء فـي (امـاه) مـا مـن احـد نطـق بهـا حتـى شـعر بضـيق الصـدر لاحسـاس تملـؤه المـرارة فتصـدر عنهـا حشـاة مكلومـة. ويختـتم قصـيدته بحكمـة القـدر وقضـاء الله وانه سيلاقي بما سبقته امه فيه فيقول:

بمن سيدفع القدر الموفى بمـن يستفتـح الامر العسير
تُسلى عنك انا عـن قليل الى ما صرت في الأخرى نصير

لقـد كـان أبـو فـراس صـادقاً مشـاعره وبكائـه الحـزين وبـذلك غابـت الفـاظ الركاكـة والضـعف لانـه كـان صـادق المشـاعر مـع نفسـه فضـلا عـن اهتمامـه بـالتعبير عـن المـه وحزنـه دون الالتفـاف الـى نـواح أخـرى. كـذلك فقـد حملـت القصـيدة صـورة واضـحة الملامـح، سـهلة المعـاني، بسـيطة الالفـاظ، بعيـدة التعقيـد، تصـدر مـن قلـب جـريح ونفس مكلومة بابيات متماسكة الوحدة وان غابت عنها أدوات الرابط.

امـا المتنبـي فكـان لـه فـي جدتـه التـي حلمـت فـي لقائـه فماتـت فرحـاً عنـدما وصـلها مكتوب منه ليلقاها خارج الكوفة، ففجع بلقياها للموت قبل ملاقاتها إياه يقول:[٧٩]

الا لا أرى الاحداث حمدا ولا ذماً فما بطشها جهلا ولا كفها حلماً
الى مثل ما كان الفتى يرجع الفتى يعود كما ابدى ويكرى كما ارمى
لكِ الله مـن مفجوعـه بحبيبـها قتيلـة شـوق غير ملحقها وصما
احن الى الكأس التي شربت بها واهوى لمثواها التراب وما ضما
بكيتُ عليهـا خيفـة فـي حياتها وذاق كلانـا ثكل صاحبـه قدماً

يصور الشاعر حزنه واشتياقه لجدته والحنين لضمها الى صدره متجرعاً كأس الموت ليلقاها، فان كانت الحياة لم تمنحها ذلك فلعل الموت يستطيع. وان كثيراً ما بكاها في حياته فقد ثكل كل منهما صاحبه مقدماً. ويضفي الشاعر صفات الكرم والفضل والأخلاق مؤثرة فيها غيره على نفسها، مما زاد حب الناس لها، فحبهم لم يأت من فراغ. ثم يدخل بنا الى عمق حزنه مصوراً تلك اللحظة التي سقطت فيها جدته ميته فرحاً. عند استلامها لرسالتهِ يقول:

اتاها كتابي يعد يأس وترحة فما نتت سروراً بي فمت بها هما
حرام على قلبي السرور فانني اعد الذي ماتت به بعدهاا سما
وتلثمه حتى اصار مـــــداده محاجر عينيها وانيابها سُحماً
رقاد معها الجاري وجفت جفونها وفارق حبي قلبها بعدما ادمى
ولم يسلها الا المنايا وإنمـــــا اشُّد من السقم الذي اذهب السقما

لقد استطاع المتنبي وبجدارة ان يوصل كامل حزنه على من جفت عيناها من شدة البكاء، فتميزت بفحولة اللفظ وجزالة المعنى وروعة التصوير، بعيداً عن الركاكة والدوران في حلقات مغلقة، فقد أصاب الهدف واخرس كارهيه قبل محبيه، ولو صمت على ذلك لكان خير له، لانه يخرجنا من هذه اللوعة الى بكاء ممزوج بالفخر، يقول:

يقولون لي ما انت في كل بلدة وما تبتغي ؟ ما ابتغي جل ان يسمى
وما الجمع بين الماء والنار في يدي باصعب من اجمع الجد والفهما
ولكنني مستنصر بذبابة ومرتكب في كل حال به الغشما
واني لمن قوم كأن نفوسنا بها انف ان تسكن اللحم والعظماً
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

لقد ضاع المتنبي في بحر فخره، وغاب عليه بانه يرثي اجمل من فقد بحياته، فازال شمسها لينير شمسه غير مكترث بفقيدته، مستمراً باظهار محاسنه الى آخر القصيدة (فبدت ممسوخة رغم براعة استهلالها وجودة تصويرها لمصيبته، فاصبحت القصيدة لاهي بالرثاء الخالص ولا هي بالفخر الخالص، بل أصبحت كالطعام الذي جمع فيه بين الملح والسكر)[٨٠].

لقد اظهر لنا الشاعران سمات الحزن الصادقة الواضحة، والتي اذابت قلبهم حزناً والماً. وكلاهما بكى فقيدته، وتمنى لها السقيا، حارماً على نفسه السعادة من بعدها، كذلك ذكر لمحاسن الفقيدة وصفاتها الجليلة. ولكن ابيات أبو فراس والتي لا تتجاوز التسعة عشر بيتا، كانت اكثر صدقاً وانفعالاً، وبكاها بكاء الأطفال اما

المتنبي في قصيدته البالغة التسعة والثلاثون بيتاً لم نجد صدق الحرارة الا في عدة ابيات قلائل، اما الباقي فكان خالصاً في الفخر والعز والشموخ، ناسياً او متناسياً امر فقيدته ، ان فن الرثاء وان كان عند البعض واجباً لا غير، الا انه ينقل لنا صورة الواقع الموجعة والعميقة لصاحب الرثاء يترجمها الشاعر بحروف وعبارات فلولاه لكان (لسان الحال فيها اصدق من لسان المقال)[٨١].

الخاتمة

واختم دراستي باهم النتائج التي توصلت اليها:

١. ان هذين المتناقضين تشابها في امور واختلفا في امور اخرى.

٢. حبهما للسلطة قد عاد بالسوء اليهما .

٣. عدا من متخاصمي القرن الرابع وذلك بسبب تقربهما لسيف الدولة فان تقرب احدهما لسبب ازداد الاخر غيرة وكرهاً

٤. بما ان المتنبي مداح من الدرجة الاولى فقد جمع في رثائاته المديح، اما ابو فراس فكان مفتخر من الدرجة الاولى لذا نجد في رثائاته جامعاً ما بين الفخر والعز بالقوم .

٥. تميز المتنبي بقصائده الرثائية الطويلة ، اما ابا فراس فكانت على الاغلب مقطوعات قصيرة .

٦. غلبت الحكمة على خواتيم قصائد المتنبي ، اما ابو فراس فقد تنوعت ما بين الدعاء والمناجاة والشكوى، اما الحكمة فكانت قليلة ولا تلفت اليها الانظار.

٧. اجتمعا في رثائهما لخولة كل حسب حاجته وحبه ووجعه،ولكنهما يلتقيان بتوجيه انظارهما الى سيف الدولة .

٨.لا يمكن ان نغفل احدهما في روعة رثائاته من الناحية الفنية فالمتنبي كان مبدعاً في اختياراته للالفاظ وجرسها وروعة المعاني ودقتها ، وان اتهم بانه لم يكن صادقاً. ولم يقل عنه ابو فراس في النوعية وان قل في الكمية فقد تميزت رثائاته بالجودة واصالة المعنى ودقة التعبير .

٩. لم يخوضا تجربة رثاء سيف الدولة ، ولم تذكر الاسباب ،وعلى ما يبدو لي ان الجفاء والنفور قد حل بينهم –الشاعران وسيف الدولة– ويعد هذا دافعا لتجاهل وفاته وكان ردا منهما عليه لتجاهلهما هو في حياته لهما .

١٠. كان الرثاء غرضاً من الاغراض المهمة في العصر العباسي ، ومتصدراً قائمة الاغراض عند الشعراء . وقد تعددت اسماؤه ولكنها كولها تصب في قالب واحد

١١. لكل منهما كان له عزيز يرثيه او قريب يعزيه ولكنهما التقيا في شخصية واحدة لا يختلف عليها الاثنان وهي الصدر الحنون والقلب العطوف لام ثكلا بها.

الهوامش

(١) العمدة : ح٢ / ٤٣٣.
(٢) ينظر: الموزانة بين الشعراء ص ٣٦٠.
(٣)الوشي المرقوم :ص٥٧.
(٤) ينظر: الفن ومذاهبة من الشعر العربي ص ٣٤٨ – ٣٤٩.
(٥) ينظر: فنون الشعر في المجتمع الحمداني ١٤٨- ١٤٩-١٧٤.
(٦) ينظر: ابو فراس الحمداني حياته وشعره ص١٦٨.
(٧) ينظر: شاعر بن حمدان ص ٣٢.
(٨)امراء الشعر في العصر العابسي ص ٣٢٧.
(٩) ينظر: النصرانية وادابها بين العرب الجاهلية ح١/ ص٢٥.
(١٠) ينظر: تاريخ بغداد ح٤/ص١٠٣ .
(١١)المتنبي مؤرخا ص١١١.
(١٢)المتنبي د. زكي المحاسين ص٢٢.
(١٣) ينظر: اليتيمة ح١/ ص٢٢.
(١٤) العمده : ح١/ ص٧٧.
(١٥) ينظر: نشوار المحاضرة ح١/ ص١١١
(١٦) ينظر: تاريخ بغداد ح٤/ص١٠٤، المتنبي بين ناقديه من القديم والحديث ص٣٣٨، اليتيمة ح١/ ص١٤١ - ١٤٢..
(١٧) ينظر: البداية والنهاية ح١١/ص٢٥٩، الواضح في مشكلات المتنبي ص١٠.
(١٨) ينظر : الصبح المنبي ، ص٨٧.
(١٩) ينظر: ذكرى ابي الطيب بعد الف عام ص٢٥٠ – ٢٦٨ ، وفيات الاعيان ح١/ ص١٢٣.
(٢٠) ينظر: شاعر بن حمدان ص٨٨ – ٨٩ ، الكامل من تاريخ ح٧/ص٢٨/ زبدة الحلب ح١/ص١٥٦.
(٢١) فنون الشعر في المجتمع الحمداني ص ٧٦٣.
(٢٢) ابو فراس الحمداني حياته وشعره ص٢٠٤.
(٢٣)الادب في العصر العباسي (ناظم رشيد) : ص٢٣٨.
(٢٤)الادباء العشر ص ٣٨٢.
(٢٥) ينظر: المثل السائر ص٣٠٢ .
(٢٦) سيفيات المتنبي ص٣(المقدمة).
(٢٧) ينظر: فنون الشعر في المجتمع الحمداني ص٢٦٩ – ٢٧٠.
(٢٨) العمدة ج١/ ص١٠٤.
(٢٩) البيان والتبين ح٣٢٠/٢، نهاية الادب ح٥/ ١٦٢.
(٣٠) ينظر: المرثاة الغزلية في الشعر العربي ص٢٠- ٢٩.
(٣١) العمدة ج٢/ ص٣٣٤.
(٣٢)عيون التواريخ ج١/ص٤٨٤.
(٣٣) بدائع البدائه ص ٣٣٩.
(٣٤) العمده ح٢/ص٤٣٢.
(٣٥) ينظر: الصحاح : ح١/ص٢٢٣ ، لسان العرب ح١٢/ ص٢٢١.
(٣٦) ينظر: صحيح بخاري ح١/ص٤٤٩ – ٤٥٠.
(٣٧) لسان العرب ج١/ ص٤٠.
(٣٨) لسان العرب ج١/ ص٤٠.
(٣٩) ينظر: لسان العرب ح١٤/ص٣٠٨، مقاييس اللغة م١/ص٤٣.
(٤٠) صحيح الترمذي :ج٤/ص٢٠٥.
(٤١) ينظر : تهذيب اللغة ج٣/ ص٢١٨، لسان العرب ج١٤/ص٣٠٨.
(٤٢)ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص٦١.
(٤٣) الشعر في بلاد الشام من القرن السادس الهجري ص٢٩٢.
(٤٤) الديوان ج٢/ص١٢-١٦.

(٤٥) ينظر: المتنبي – محمود شاكر ص٣١٨ – ٣٢٠.
(٤٦) ينظر: العمده ج٢/ص٣٣٤.
(٤٧) ينظر: مع المتنبي ص ٢٠٨.
(٤٨) الازف : ريش النعامة الصغير ينظر لسان العرب ج٧/ ص٤١ الرئال : ولد النعام ، ينظر لسان العرب ج٦/ص٦١.
(٤٩) ينظر: مع المتنبي ج٣/ص٣٨٥.
(٥٠) الديوان: ج٢/ص ٢٧-٣٠.
(٥١)فنون الشعر في المجمع الحمداني ص٢٩٠.
(٥٢) الديوان ج٢/ص١٥٩-١٦٣.
(٥٣) الديوان ج٢/ص١٩٢-١٩٦.
(٥٤)اللجب الصوت والصياح والجلبة ، ينظر: لسان العرب ج١٣/ص١٧٠.
(٥٥) ينظر: المتنبي ، محمود شاكر ص٢٤٠ – ٣٤١.
(٥٦)الشنب: برودة الفم وعذوبته، ينظر: لسان العرب ح٨/ ص١٤١.
(٥٧) فنون الشعر في المجتمع الحمداني : ص٢٩٠.
(٥٨) الديوان ج٢/ص٢٥٥-٢٥٨.
(٥٩) مراثي الخلفاء والقاده في الشعر العباسي ص٥٩٥.
(٦٠) بلقع: المكان الخالي ، ينظر: لسان الغرب ج٢/ص١٤٥.
(٦١) اوكع: الطويل ، ينظر لسان العرب ج١٥/ص٢٧٠.
(٦٢) مراثي الخلفاء والقاده في الشعر العباسي ص١١٢.
(٦٣) الشعر العباسي تطوره وقيمة الفنية ص٢٤٨.
(٦٤) ينظر المثال والتحول ص١٤-١٥.
(٦٥) ينطر في الديوان : ج ٢ / ص٢٥٩ – ٢٦٢.
(٦٦) م.ن ص٧٥.
(٦٧) الديوان ص٢٠٥ دار صادر.
(٦٨) م.ن ص٦٩.
(٦٩)م.ن ص٢٠٦.
(٧٠)م.ن ج٣/ ٤١٦، تحقيق سامي الدهان .
(٧١) م.ن ص٤٩.
(٧٢) ينظر: السكون متى يكون (د.ص)
(٧٣) الديوان ٥٥.
(٧٤)السكون متى يكون (د. ص)
(٧٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٨.
(٧٦) البيان والتبين ج١/ ص٨٤.
(٧٧) الديوان ١٦٢-١٦٣.
(٧٨) اصول النقد الادبي ص١٩.
(٧٩) الديوان ٢١٨-٢٢١.
(٨٠) فنون الشعر في المجمع الحمداني ص٨٩٨.
(٨١) شعراء مفكرين حول سيف الدولة الحمداني ص١١١.

المصادر والمراجع

١-ابو فراس الحمداني حياته وشعره : د. عبد الجليل حسن عبد الهادي ، مكتبة الاقصى – عمان ١٩٧١.
٢-ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام – حياتهم – آثارهم – نقد آثارهم : بطرس البستاني – دار المكشوف ودار الثقافة – بيروت – لبنان الطبعة العاشرة ١٩٦٨.
٣-التاريخ العربي في العصر العباسي : د. ناظم رشيد ، طبع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل – العراق ١٩٨٩.
٤-الادباء العشر : أسعد طلس وابراهيم الكيلاني ، مطبعة الشباب ، دمشق ١٩٤٠.
٥-اصول النقد الادبي : احمد الشايب ، دار الثقافة – بيروت.

٦-امراء الشعر العربي في العصر العباسي (دراسة تحليلة لادب ثمانية من اشهر شعراء العرب وللجو الذي نشأوا فيه): انيس المقدسي ، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٦٣.
٧-بدائع البدائية : الازدي (ت ٦١٣ه) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠.
٨-البداية والنهاية : ابن كثير ، تحقيق علي بن محمد البجاوي ، نكتبة المعارف – بيروت – الطبعة الاولى ١٩٩٢.
٩- البيان والتبين : الجاحظ (ت ٢٥٥ه) تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة التألف والترجمة والنشر١٩٤٨.
١٠- تهذيب اللغة : الازهري (ت٣٧٠ ه) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٥.
١١- ديوان ابي فراس الحمداني
أ- دار صادر – بيروت
ب- تحقيق سامي الدهان – دمشق ١٩٥١
١٢- ذكرى ابي الطيب بعد الف عام : د. عبد الوهاب عزام ، مطبعة الجزيرة – بغداد ١٩٣٦.
١٣- زبدة الحلب من تاريخ حلب : ابن العديم ، تحقيق سامي الدهان – دمشق ١٩٥١.
١٤- سيفيات المتنبي (دراسة نقدية للاستخدام اللغوي): سعاد عبد العزيز مانع ، نشر عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض – الطبعة الأولى ١٩٨١.
١٥- شاعر بن حمدان : احمد بدوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٢.
١٦- شرح ديوان ابي الطيب المتنبي : شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبتي ، دار الكتب العالمية – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة ٢٠٠٩.
١٧- الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية (دراسة تاريخية تحليلية) : محمد ابو الانوار – دار المعارف – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٧.
١٨- الشعر في بلاد الشام في القرن السادس الهجري : د. شفيق محمد عبد الرحمن الرّقب.
١٩- الشعر والشعراء: ابن قتيبة (ت٢٧٦ه) ، دار الثقافة – بيروت ١٩٦٤.
٢٠- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : يوسف البديعي (ت١٠٧٣م) تحقيق مصطفى السقا ومحمد الشتا وعبده زياده ، دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة .
٢١- صحيح البخاري في كشف المشكل : الامام الجوزي تحقيق مصطفى الذهبي – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الاولى ٢٠٠٠.
٢٢- صحيح الترمذي رثاء عيون الاخبار : ابن قتيبة (ت ٢٧٦ه) دار الكتب المصرية ١٩٣٠.
٢٣- عيون التواريخ : محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق د. فيص السامر ونبيلة عبد المنعم وزارة الاعلام العراقية بغداد ١٩٧٧.
٢٤- الفن ومذاهبة في الشعر العربي : شوقي ضيف، مطبعة دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩.
٢٥- فنون الشعر في المجتمع الحمداني : مصطفى الشكعة ، عالم الكتب – بيروت.
٢٦- الكامل في تاريخ : ابن الاثير ، تصحيح الشيخ عبد الوهاب نجار.
٢٧- كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه : ابن رشيق القيروانيث ، شرح وضبط د. عفيف نايف حاطوم – دار صادر – بيروت ٢٠٠٣.
٢٨- لسان العرب : لبن منظور ، طبعة جديدة محققة – دار صادر – بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٠، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤ ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥.
٢٩- المتنبي : د. زكي المحاسني ، مطبعة دار المعارف – القاهرة – ١٩٧١.
٣٠- المتنبي :د. محمود شاكر ، مطبعة المدني ١٩٨٧.

٣١- المتنبي بين ناقدية في القديم والحديث : عبد الرحمن شعيب ، وزارة المعارف ، القاهرة ١٩٦٤.
٣٢- المتنبي مؤرخا: محمد تقي جون علي ، سلسلة رسائل جامعية – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، الطبعة الاولى ٢٠٠٧.
٣٣- المثال والتحول في شعر المتنبي : جلال الخياط ، دار الرائد العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٧.
٣٤- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ابن الاثير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المطبعة العصرية – بيروت ١٩٩٠.
٣٥- مراثي الخلفاء والقادة في الشعر العباسي الى آخر القرن الرابع الهجري – دراسة في البناء والصورة والايقاع : لطبعة مهداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ٢٠١٠.
٣٦- المرثاة الغزلية في الشعر العربي : د. عناد غزوان اسماعيل . مطبعة الزهراء – بغداد ١٩٤٧.
٣٧- معجم مقايس اللغة : ابن فارس (ت٣٩٥ ه) تحقيق عبد السلام محمد هرون – دار احياء الكتب العربية – القاهرة ١٣٦٩ه .
٣٨- الموازنة بين الشعراء – ابحاث في اصول النقد واسرار البيان - د. زكي مبارك ، مطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة – القاهرة ١٩٧٣.
٣٩- الموشح نشوار المحاضرة : المحسن بن علي التنوخي ، بنحقيق عبود الشالجي ، مطبعة دار صادر – بيروت ١٩٧٣.
٤٠- نهاية الارب في فنون الادب : النويري (ت ٧٧٣ه) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٩٥.
٤١- الواضع في مشكلات المتنبي : الاصفهاني ، تحقيق مجيد الطاهر بن العاشور – الدار التونسية ١٩٦٨.
٤٢- الوشي المرقوم في حل المنظوم : ابن الاثير ، تحقيق د. جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٩٨٩.
٤٣- وفيات الاعيان وانباء الزمان : ابن خلكان (ت ٦٨١ ه) ، تحقيق احسان عباس – مطبعة دار صادر – بيروت ١٩٧٠.
٤٤- يتمية الدهر في محاسن اهل العصر : الثعالبي (ت)

الانترنيت

١. السكون متى يكون : مقال بقبم قطر الندى ، شبكة الفتح لعلوم اللغة العربية – مجمع علوم اللغة العربية ، منتديات الادب.
٢. شعراء مفكرون حول سيف الدولة الحمداني : احسان محمود علي ، رسالة دكتوراه ، جامعة ام در ما الاسلامية – اللغة العربية – الدراسة الادبية والنقدية – الدراسات العربية .
٣. الوساطه بين المتنبي وخصومه : عبد القاهر الجرجاني ا رشيف ادباء ، منشورات ومطبوعات .
٤. النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، لويس شيخو اليسوعي ، ارشيف وادباء ، منشورات ومطبوعات .